المأساة الإنسانية في ضوء قصص الطيب صالح القصيرة

بشارت حسين[١]

الملخص

كان الطيب صالح السوداني أديبا بارعا كاتبا فارها استطاع بإبداعاته القصصية أن يضع السودان على خريطة الإبداع القصصي فنا ومنهجا وأسلوبا. فما كان كاتب قصصي مجرد فحسب، بل إنه كان من الرواد القلائل للقصة القصيرة السودانية وإحدى العلامات البارزة للقصة في السودان. مارس في إنتاجاته القصصية على الموضوعات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والقومية وما إلى ذلك، غير أن مشكلة الإنسان وصراعه ضد البؤس والشقاوة والفقر ومشكلة ظاهرة التسلط واستبداد الحكومة على عامة الناس من العمال والفلاحين من الموضوعات المهمة التي اتسمت به معظم قصصه القصيرة. وأما هذه المقالة فسوف تسلط ضوءا وافرا على المأساة الإنسانية والمعاناة الاجتماعية في ضوء قصص الطيب صالح القصيرة، كما تبحث هذه المقالة عن معالم الطيب صالح الفني في مجال القصة القصيرة السودانية.

الكلمات المفتاحية: الطيب صالح -القصة القصيرة- المأساة الإنسانية-

التقديم

نال الطيب صالح السوداني بجدارته الأدبية وإنتاجاته الرائعة مكانا ممتازا بين الكتاب والروائيين. وقد شق طريقا جديدا للقصة القصيرة من حيث المضمون والفكر والأسلوب معا، بحيث يعتبر بلا منازع عملاقا من عمالقة الأدب والفن، حتى نال في هذا المجال العديد من الجوائز الوطنية والعالمية. فما كان مجرد كاتب روائي، بل كان من

١ الباحث في الدكتوراه في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة كشمير، سري نغر، كشمير، الهند

رواد القصة القصيرة في الأدب السوداني ومن الأدباء القلائل الذين جعلوا القصة القصيرة نوعا مقبولا من أنواع الأدب السوداني في الوقت الذى لا يهتم بها أكثر الكتاب والروائيين السودانيين[١].إن النماذج الإنسانية من الفقر والبؤس والشقاوة والحوادث الاجتماعية من الفلاحين والعمال والأزمات السياسية من الظلم والاستبداد والقهر في ظل الاستعمار البريطاني من الموضوعات الرئيسية التي تناولها الطيب صالح في قصصه القصيرة. ويمكن لنا أن نقسمها إلى قسمين مهمين، قسم كتبه الطيب صالح في الغربة خلال قيامه في لندن، وقسم كتبه بعد عودته إلى وطنه السودان. وإننا نجد بعد النظرة المدققة أن هذين القسمين يختلفان عن الآخر من حيث المضمون والشكل والفن والأسلوب. يتضمن القسم الأول من القصص القصيرة على الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي عاناها الشعب السوداني تحت الاستعمار البريطاني وما صاحبه من الأزمات والمعاناة. وأما القسم الثاني من القصص القصيرة للطيب صالح فيتضمن على العادات والتقاليد والأعراف السودانية بجانب إلى تصوير معاناة الشعب السوداني في كافة المجالات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية وما إلى ذلك.

ومن القصص القصيرة التي كتبها الطيب صالح خلال قيامه في لندن قصة" نخلة على الجدول". كتبها الطيب صالح هذه القصة عام ١٩٥٣مبعدما شجع صديقه معاوية الدرهلي الذي كان يعمل معه في هيئة الإذاعة البريطانية على كتابة القصة القصيرة. فعندما نشر الطيب صالح هذه القصة اطلع عليها معاوية الدرهلي وأعجبته كثيرا، حتى أذاعها في برنامج خاص من إذاعة لندن. ويصرح الطيب صالح عن سبب كتابة هذه القصة قائلا:" عندما جئت لندن في فبراير شباط ١٩٥٣م، كنت أقول: لماذا جئت أصلا إلى هذا البلد. وما هي المصيبة التي رمتني وساقتني إليه.... في تلك الفترة وتحت وطأة الحنين إلى أهلي وبلدي وعشيرتي كتبت قصة قصيرة أسميتها "نخلة على

١ غازي محمد خالد: الطيب صالح سيرة وشهادات من محطات العمر، ص٦٨وما بعدها

الجدول"، إنها قصة بسيطة كتبتها ببساطة شديدة جدا "[1].قد جعل الطيب صالح هذه القصة القصيرة تعبيرا عن اشتياق بلده وأهله وقريته التي ترعرع فيها ونشأ في طقسها، كما جعلها تعبيرا عن مشكلة تراوح الفرد بين الغنى والفقر. فالنخلة والجدول التي جعلهما المؤلف عنوانا للقصة تعد عنصران أساسيان للحياة السودانية الريفية، وقد أشار المؤلف بهما حينما كان مغتربا في لندن[2].

تدور هذه القصة حول فلاح فقير اضطرته الظروف القاسية على بيع نخلة له، فساوم بعض الإقطاعي فلاحا لبيع النخلة. وخلال المساومة تتداعى إلى ذهن الفلاح ذكريات عن حياتها ربطت بهذه النخلة في جانب، وفي جانب آخر شعر أن عيد الأضحى مقبل وليس لديه ثوب نظيف يلبس ويخرج به إلى الصلاة، وليس عند زوجته غير ثوب لبسته منذ شهور حتى تراكمت عليه الأوساخ. فكان الفلاح مترددا في بيع النخلة وعدم بيعها، فإذا سمع صوت شيخ محجوب يقول له بشيء من التوسل والابتهال: "يفتح الله"، ورأي الفلاح إلى الشيخ محجوب عادت ذكرياته بخمسة وعشرين عاما إلى الوراء. وتذكر حينما كان الشيخ محجوب شابا التقط شتلة صغيرة من النخل، فزرعها حتى أصبحت شجرة مستقلة، ولكن عندما باعها أصبح منبوذا ومحتقرا من قبل أهله وعشيرته، حتى لم يجد له مالا يسد به الرمق ويقضي به الحياة.

استطاع الطيب صالح بهذه القصة أن يعبر عن المأساة الاقتصادية والأوضاع الاجتماعية السودانية في ظل الاستعمار البريطاني. كما استطاع أن يعالج خلال حكاية الفلاح والتاجر قضيتين مهمتين في المجتمع السوداني، تتعلق القضية الأولى بانتهازية التجار وأصحاب رؤوس الأموال واستغلال الفقراء والفلاحين والعمال، حيث كان التاجر يستغل الفلاح ويجبره لبيع النخلة التي كانت منبعا وحيدا لمعيشته. وأما القضية

---

١ غازي محمد خالد: الطيب صالح سيرة وشهادات من محطات العمر، ص٦٩

٢ بي حسينة: الطيب صالح و" موسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تظهر فيها دراسة نقدية، ص٣٧٦

الثانية فتتعلق بالإيمان وبالقضاء والقدر والتوكل على الله، حيث عندما أمسك الفلاح نفسه عن بيع النخلة متوكلا على الله تعالى، سرعان ما أتت ابنته الصغرى إليه وأخبرته بأن أحد زملاء أخيها قدم من مصر وأراد لقاءك. فعندما قرب الفلاح إليه أعطاه ثلاثين جنيها أرسلها ابن الفلاح من مصر. فشخصية التاجر حسين وشخصية الفلاح البسيط تمثلان نزاعا بين الوجهتين المختلفتين، أحدهما وجهة دينية وروحية يمثلها الفلاح البسيط، وثانيهما وجهة مادية مستغلة يمثلها التاجر حسين الذي كان ينتهز الفرصة ويسعى لاستغلال الفلاح البسيط. فشخصية التاجر حسين هو المحور الرئيسي الذي نسج الطيب صالح حوله الفساد الاجتماعي والسياسي والاقتصادي في السودان تحت ظل الاستعمار البريطاني[١].

وبعد هذه القصة كتب الطيب صالح قصته الشهيرة "حفنة تمر" عام ١٩٥٧م ونشرها في مجلة "إنكونتر" التي كانت تعتبر من أكبر المجلات الأدبية البريطانية والتي كانت آنذاك زوبعة ثقافية، ثم نشرها عام ١٩٦٨م في مجلة الأسبوعية السودانية "الرأي الأم". قد تدور هذه القصة حول مشكلة تراوح الفرد بين الغنى والفقر خلال تقديم حكاية صبي كان جالسا ذات يوم مع جده وكانا يتحدثان عن جار اسمه مسعود. فكان الجد يكره مسعود كرها شديدا، حتى لقبه بسبب كرهه بالرجل الخامل. فلما استفسر الصبي سبب كرهه وعن معنى الرجل الخامل، أخبره الجد عما حدث قبل أربعين عاما بينه وبين مسعود قائلا: إنه كان رجلا غنيا وكان يملك أرضا خصبة ونخلة كثيرة ورثها عن أبيه، حتى إنه كان من ذوي المال الكثير والشهرة البليغة في القرية. وكان لهمئة خادم من البنين والبنات، ولكنه الآن أصبح رجلا فقيرا، باع جميع أملاكه من الأرض والنخيل بسبب حبه للنساء. فعندما كان يتزوج امرأة باع فدانا أو فدانين من الأرض. وفي هذه الأثناء جاء مسعود إلى جد الطفل وأخبره بأنه يريد أن يحصد التمر وسأله لحضوره في الحقل. فعندما ذهب الطفل مع جده إلى الحقل أدهش حينما رأي

---

١ الطيب صالح عبقري الرواية العربية، ص ١٢

في مكان حصاد التمر التاجر حسين وموسى صاحب الحقل المجاور لحقل جده ورجلين غريبين لم يرهما الطفل من قبل. فعند ما نظر الطفل إلى مسعود، رآه واقفا بعيدا عن هؤلاء الناس. فسأل عن جده سبب وقوف مسعود بعيدا عن حقله، أخبره الجد أن هؤلاء التجار يتقاضون ديونهم من مسعود أكياسا من محصول التمر، فيأتون على المحصول بأكمله. وأدهش الطفل أكثر مما كان قبل عندما شاهد التجار اجتمعوا في الساقية ويكيلوا التمر بمكاييل ويصبونه في أكياس، فأخذ حسين التاجر عشرة أكياس وأخذ موسى خمسة أكياس وجده أيضا أخذ خمسة أكياس. ولم يستطع الطفل أن يفهم عما يحدث هناك. وفي تلك الأثناء قال جده لمسعود، إنه ما زال مدينا له بخمسين جنيها نتحدث عنها فيما بعد. فلما نظر الطفل إلى مسعود أحس الطفل بألم شديد، ثم ذهب إلى حافة النهر وأدخل إصبعه في حلقه وتقيأ التمر الذي أكل"[١].

استطاع الطيب صالح أن يقدم خلال هذه القصة القصيرة المأساة الاجتماعية السودانية وقهر الاقطاعيين الكبار على الضعفاء من الفلاحين والعمال، معرضا شخصية مسعود الذي استلب أرضه وتمره جميعا من قبل التجار والاقطاعيين الكبار لقلة حيلته وقصور رؤيته، حتى خرج مسعود من حقله في موسم الحصاد دون أن يفي باقي ديونه، فظل مدينا لجد الطفل خمسين جنيها. فهذه القصة تعبير صادق عن واقع السودان وحساسية الناس الذين قضوا حياتهم تحت الظلم والقهر من قبل الاستعمار من جانب ومن قبل الاقطاعيين الكبار من جانب آخر. فشخصية الطفل يمثل حساسية الناس ووعيهم تجاه الظلم والقهر، بينما يمثل شخصية مسعود العمال والمزارعين الذين وقعوا في أزمة اقتصادية نتيجة لعدم العدالة الاقتصادية في المجتمع الذي كان يحكم فيها الأغنياء والاقطاعيون، مستغلين العمال والفلاحين بطرق مختلفة. كان مسعود من ذوي الثروة والمال، ولكنه أصبح فقيرا ومحتاجا لا يملك سوى

---

١ بي حسينة: الطيب صالح و" موسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تظهر فيها دراسة نقدية، ص ٣٨٣ وما بعدها

حمارته العرجاء وسرجه المكسور وجلبابه الممزق بسبب استغلال الاقطاعيين واستدانتهم عليه. وقد صور الطيب صالح حالة مسعود العاجزة قائلا:" كان مسعود واقفا بعيدا عن ذلك الحشد كأن الأمر لا يعنيه، مع أن النخل الذي يحصد كان نخله هو.[١].

ومن القصص القصيرة التي ألفها الطيب صالح خلال قيامه في لندن قصة "رسالة إلى إيلين" التي نشرها الطيب صالح عام ١٩٦٠م، والتي تدور حول علاقة الشرق بالغرب وتصور عادات العالم الشرقي والغربي في أسلوب ممتع جدا. وهذا يجدر بالملاحظة أن هذه القصة تختلف تماما عن قصص الطيب صالح السابقة من حيث الشكل والمضمون معا، حيث قدمها المؤلف في صورة رسالة أرسلها رجل سوداني من الخرطوم بعد وصوله إلى وطنه السودان إلى زوجته الغربية الإسكتلندية التي تزوجها خلال قيامه في أبردين في اسكتلندا. قد تبدأ هذه القصة بعلاقة الحب بين الرجل السوداني الذي سافر إلى البلاد الغربية للتعليم العالي، وبين المرأة الإسكتلندية التي كانت تتعلم معها. وفي أثناء الدراسة جرت بينهما علاقة الحب والمودة نحو ثمانية أشهر، حتى اتفقا على الزواج. فالمحور الرئيسي لهذه القصة هو الرسالة التي أرسلها الرجل السوداني إلى زوجته إيلين الإسكتلندية بعد وصوله إلى السودان. عندما وصل هذا الرجل إلى وطنه السودان وفض حقيبته وجد أن زوجتها وضعت فيها كل ما يحتاج إبان إقامته في السودان، فازداد حبه وولعه لها وهي التي تزوجت منه حتى بعدما اعترفت الفرق بينهما في اللون والدين والذوق والمظاهر. فالرجل عندما وصل إلى أهله وأقاربه أدرك نفسه غريبا بين أهله وأقاربه حتى أمام أبيه وأمه اللذين كانا يرحبانه ويذرعان الدموع بالفرح والبهجة بسبب عودته. فأدرك أن هذه الزيارة ليست كالزيارات الماضية المفعمة بالفرح والسرور، فاستشعر بالتمزق وبالإحساس العارم بعدما علم أن علاقته مع أهله في هذه المرة ليست مثل علاقة كانت بينهم من قبل. فقد تعمق لديه

---

١ المصدر السابق، ص٣٨٨

هذا الاحساس خاصة عندما قدم إلى أقربائه وعشيرته الذين لم يعرفوه ولم يتحدثوه، حتى الفتاة التي كانت معها علاقة ودية زمن دراستهما في القرية لم تلاحظ إليه، بل اعتبرته مثل الشجرة التي اقتلعت بشدة الريح. ويتضح كل هذا من هذه العبارة:" أنا في حسابها كنخلة على الشاطئ اقتلعها التيار وجرفها بعيدا عن منبتها. أنا في حسابها تجارة كسدت"[١]. فالقرية التي ترعرع ونشأ فيها أصبحت له غريبة. فإنه أخذ يحس بأن عودته إلى بلده كان تعذيبا إلى نفسه. فنسي الوطن وأهله وأقاربه، فهو يخاطب زوجته في رسالته قائلا:" الليلة الأولى بدونك. وبعدها ليال ثلاثون كمفازة ليس لها خير. سأجلس على صخرة قبالة دارنا واتحدث إليك. أنا واثق أن الرياح والكهرباء التي في والهواجس التي تهجس في الكون، سترهف آذانها، وستحمل حديثي إليك. موجات هوج من قلبي، تستقبلها محطة في قلبك. حين تنامي مدّي ذراعك حيث أضع رأسي على الوسادة. فإني هناك معك، حين تستيقظين قولي صباح الخير فإنني سأسمع وأرد، أجل سأسمع. أنا الآن أسمع صوتك العذب الواضح "[٢].

على هذا النحو استطاع الطيب صالح في هذه القصة أن يعبر عن الألم والحزن اللذين واجههما الشبان السودانيون خاصة والعرب عامة بعد مغادرة وطنهم، كما استطاع أن يعبر عن واقعية الحياة في المجتمع الغربي الذى تأثر الطيب صالح به إلى أقصى حد خلال غربته ومعايشته في لندن، ولذلك السبب يرى بعض الباحثين أن المؤلف قد عبر في هذه القصة عن سيرته الذاتية وعن زواجه بامرأة اسكتلندية "جوليا" وفي جانب الآخر أن هذه القصة تمهيدا لروايته الشهيرة "موسم الهجرة إلى الشمال" التي تتحدث فيها الطيب صالح بالدقة عن العالم الغربي والشرقي والتي عدها

---

١ الأعمال الكاملة للطيب صالح، ص ٤٩٧

٢ نفس المصدر، ص٤٨٩

الناقدون من أفضل مئة رواية عالمية بمضمونها البليغ وأسلوبها الرائع[١]. فجميع هذه القصص هي التي ألفها الطيب صالح خلال قيامه في لندن، ولذلك السبب نجد في معظم قصصه القصيرة الغربة كما نجد فيها وهج الحضارة الغربية الصخبة وقهر الاستعمار البريطاني ومعالجة الأوضاع السودانية في كافة المجالات العلمية والسياسية والاقتصادية.

وأما القصص التي ألفها الطيب صالح بعد عودته إلى وطنه السودان فتختلف تماما عن القصص السابقة موضوعا وأسلوبا وفكرا. ومعظم هذه القصص تدور حول الأوضاع الداخلية السودانية، كما تدور حول العروبة وثقافتها الإسلامية العريقة وهموم الأمة العربية شرقا وغربا. ومن أهم هذه القصص قصة" دومة ود حامد" التي نشرها أول مرة في العدد الثالث من مجلة" أصوات" عام ١٩٦١م، ثم نشرها عام ١٩٦٩م في مجلة" الهلال". قد تعد هذه القصة من أشهر قصص الطيب صالح القصيرة وأنجحها. وقد يقول الطيب صالح عنها:" هي أحد عمود من أعمالي الأدبية. كانت أول قصة لقيت النجاح وجعلتني أحس أنني يمكن أن أكون كاتبا "[٢]. قد ترجمت هذه القصة إلى العديد من اللغات العالمية بما فيها الإنجليزية والألمانية والإيطالية والفرنسية والعبرية وما إلى ذلك. فهذه القصة القصيرة على حد تعبير بعض الباحثين نموذجا صادقا للرمز والايحاء الأدبي، تدور أحداث هذه القصة حول قرية صغيرة من قرى السودان، يعتقد أهلها بالرجل الصالح المدفون فيها ويؤمنون بكراماته، حتى كانوا يدعوا له عندما نزلت عليهم المصائب، ويرونه في أحلامهم يدعون منه لرفع مصائبهم ودفع أزماتهم. فلما حاولت الحكومة قطع" الدومة" وهو المكان المدفون له، وقف جميع أهل القرية أمام الحكومة وناضل معها مناضلة قوية ضد قطع" الدومة" وإسقاط

---

١ بي حسينة: الطيب صالح وموسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تظهر فيها دراسة نقدية، ص٣٩١ وما بعدها

٢ حسن ولي : الطيب صالح فكره وإبداعه الروائي، ص ١٠

قبره، وقد جرت هذه المناضلة بين أهل القرية والحكومة نحو أسبوع أو أكثر، اشترك فيها كثير من الرجال والنساء والأطفال من القرية حتى توقفت الحكومة عن قطعها. وفي الحقيقة يرمز الكاتب بهذه الحكاية إلى ثبات الناس واستقرارهم أمام الاستعمار. فشجرة دومة وضريحة ود حامد علامتان بارزتان لثبات الناس أمام الأجانب عبر القرون والأجيال. ثبت الناس أمام الاستعمار البريطاني والإنجليزي وحاربوا ضدهما محاربة قوية ممسكين التقاليد والعادات المقدسة لهم.

قدم الطيب صالح هذه الحكاية خلال تقديم شخصيتين أحدهما شيخ كبير ينتمي إلى قرية ود حامد، والثاني شاب قدم من المدينة إلى قرية ود حامد لزيارتها. فعندما وصل الشاب إلى القرية قص الشيخ عليه قصة قريته ومزاياها قائلا يؤمن أهل قريتها بأولياء الله الصالحين وبشيوخ الصوفية وكراماتهم. فهذه القرية موصونة للأجانب والغرباء والأعداء، فإذا جاء أحد إلى هذه القرية في الشتاء يهاجم عليه أسراب من الحشرات التي تدعى "النمتة"، وإذا جاء إليها أحد في الصيف يهاجم عليه ضخم من الحشرات الأخرى التي تدعى" ذباب البقر"، وأما إذا جاء إليها أحد بين هذين الطقسين تحميه هذه القرية وتصونه من البلاء والمصائب أي ما كانت. ثم قال للشاب أنت جئت في الصيف، لذا سأعطيك شبكة من " التل"، ضعها على رأسك. فهذه الشبكة تقوي عن احتمال اسراب ذباب البقر. ثم أخبره هذا الشيخ عن حادثة حدثت في هذه القرية في سنة من السنين قائلا: مرة جاء إلى هذه القرية واعظ كبير أرسلته الحكومة السودانية لكي يعظنا ويرضينا على قيام مدينة كبيرة في هذه القرية بعد قطع أضرحة الأولياء الصالحين. فعندما وصل إلى القرية مصمما على قطع الأضرحة وقلع ود حامد توّرم وجهه بعد وصوله في القرية وأصبح طريح الفراش إلى أن مات، فمنذ ذلك اليوم لم ترسل الحكومة أي واعظ بعد. ثم قال عندما سيطرت على السودان كلها الحكومة الإنجليزية فإنها قررت على قطع الدومة وإقامة مكينة الماء في موضعها. فلما سمع أهل القرية عن ذلك سدوا جميع طرق دخول القرية وسدوا الحكومة عن قطعها. وبعد استقلال السودان من الاستعمار أرسلت الحكومة نخبة من الرجال الأقوياء إلى هذه

القرية لأن يبنوا على الدومة محطة الباخرة، ولكن هاجمت عليهم ذباب البقر حتى رجعوا يائسين، ولكن سرعان ما أرسلت الحكومة رجال الجند وحبس الرجال الأقوياء من القرية، فعندما دخل الجند في القرية هاجمت عليهم الحشرات حتى رجعوا يائسين وبقيت الدومة على مكانها سالمة[١].

استطاع الطيب صالح أن يصور خلال هذه الحكاية نضال الشعب السوداني ضد الاستعمار والأجانب، وأن يقدم صورا عديدة من الصعوبات والأزمات التي واجهها السودانيون عبر القرون. إنه جعل شجرة الدومة وضريحة ود حامد رمزا وعلامة للشعب السوداني الذي ناضل ضد الحكومات المختلفة في إزالة التقاليد والأعراف وفي تكوين التغيرات في مجال الزراعة والاقتصاد والسياسة على نحو ما نعرف من قول الدكتور ماهر حسن فهمي الذي يقول عن هذا الصدد:" الدومة هنا رمز للعقائد التي يتمسك بها أهل القرية في اصرار رغم تخلفها، بل هم يحاربون التطور ويسدون السبيل أمامه من أجل مجموعة أساطير قدسوها وأحالوها محور حياتهم وفكرهم، وعاشوا حياة بدائية لا صحف ولا سينما ولا مستشفى ولا مدرسة ولا كهرباء ولا وسائل مواصلات سوى الحمير، ولكنهم يتبركون بالدومة ويقدمون القرابين لود حامد تحت الدومة التي تشغل يومهم وتملئ حتى أحلامهم في صحتهم ومرضهم وأفراحهم ومآسيهم. وربما كان قطع الدومة أشبه بمحق لمقدساتهم، ولكن القرية لم تكن على استعداد لإقامة محطة الباخرة وتغنيهم عن عناء السفر على الدواب لمجرد أن الباخرة سوف تقف عند القرية عصر يوم الأربعاء وهو الوقت المحدد في القرية لزيارة ضريح ود حامد عند الدومة يأخذون نسائهم وأطفالهم ويذبحون نذورهم وأهل القرية يروون قصتها أبا عن جد وتفعل الأساطير بألبابهم الأفاعيل" [٢].والشيء المهم الذي نجده في هذه

---

١ بي حسينة: الطيب صالح و" موسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تظهر فيها دراسة نقدية، ص٣٩٦ وما بعدها

٢ فهمي حسن ماهر: قضايا في الأدب والنقد، ص٣١٣ وما بعدها

القصة هو أن الطيب صالح خالف الحكومة الاستعمارية في معظم أعماله القصصية والروائية، وإن كان توقف عن الانتقاد اللاذع على الحكومة الوطنية في أعماله السابقة التي تجاوز فيها عن الأعمال الشنيعة للحكومة بإتيان أشياء يفتخر بها الحكومة الوطنية، غير أننا نجده في هذه القصة ينتقد على الحكومة الاستعمارية والوطنية معا على لسان شخصية الشيخ قائلا:" أنت تذكر أنه كان لنا قبل أعوام نواب وأحزاب وضوضاء كبيرة، ما كنا نعرف أولها من آخرها. ونحن منذ أبينا أن تقوم المحطة عند الدومة، لم يعد يعكر علينا صفوفنا أحد. وانقضى عامان ونحن لا نعرف شكل الحكومة سوداء هي بيضاء"[١]. على كل حال تعتبر هذه القصة من أروع قصص الطيب صالح القصيرة فنا ومنهجا وأسلوبا وفكرا، بل عدها بعض الدارسين وعلى رأسهم ماهر حسن فهمي، البداية الحقيقية لفن الطيب صالح القصصي. فإن حيوية اللغة ودقة الوصف وإيثار الألفاظ البسيطة الدقيقة على الألفاظ الصعبة والأسلوب الحواري البليغ الذي يجري بين الشاب القادم من المدينة وبين الشيخ العجوز للقرية، والذي يوضح الفوارق الواضحة بين المدينة والقرية في العادات والتقاليد والسذاجة من السمات المهمة التي تمتاز بها هذه القصة من قصصه الأخرى.

خاتمة

اتضح لنا مما سبق أن الطيب صالح السوداني عالج معاناة الإنسان السوداني ومأساته الاقتصادي والاجتماعي معالجة لا بأس بها. واستطاع أن يصور الأشياء والأحداث تصويرا واقعيا بعيدا عن المبالغة والتصنع. بجانب إلى ذلك اتضح لنا مساهمته القيمة في تطوير القصة القصيرة في السودان، حتى كان وحيد من الكتاب القلائل الذين أخرجوا فن القصة القصيرة السودانية من التقاليد القديمة والأسلوب الزائف إلى معالمها الفني الجديد أسلوبا ومنهجا وفكرا وما إلى ذلك.

---

[١] الأعمال الكاملة للطيب صالح، ص٥١٧

المصادروالمراجع

١. غازي محمد خالد: الطيب صالح سيرة وشهادات من محطات العمر. الجيزة: وكالة الصحافة العربية (ناشرون). ٢٠١٥م.

٢. بي حسينة: الطيب صالح و" موسم الهجرة إلى الشمال" مشاعر العرب ضد الاستعمار كما تظهر فيها دراسة نقدية.

٣. محمد أحمد سعيد. الطيب صالح عبقري الرواية العربية. بيروت: دار العودة. ١٩٨٤م.

٤. صالح الطيب. الأعمال الكاملة. بيروت: دار العودة. ١٩٩٦م.

٥. حسن ولي: الطيب صالح فكره وإبداعه الروائي.

٦. فهمي حسن ماهر: قضايا في الادب والنقد: رؤية عربية، وقفة خليجية. الدوحة: دار الثقافة. ١٩٨٦م.